

وينال كل أمنياته ولن يحس بعد ذلك بأي فراغ داخلي ولن يتعلق قلبه بالمبول الحيوانية الذئبية. وكلما ذكر الإنسان المؤمن [] فإنه يطمئن بعفوه ورحمته، وإذا ما تذكر عظمته وانتقامه، فإنه يرتجف من الوحشة والخوف، وعندما يستمع إلى آيات الحق فإن إيمانه سوف يقوي ويزداد؛ (إِزْمَامَا الْمُؤْمِنِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَاتٍ فُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (الأنفال/ 2)، وهذه الحالة هي التي عبرت عنها الروايات بحالة "الخوف والرجاء"، فقد روي عن عليّ (ع): "الذكر هو نور العقول وهداية القلوب ومفتاح الأنس ومجالسة المحبوب ولذة المحبين، من ذكر [] سبحانه أحيا قلبه ونور عقله ولبه".

إنّ الذين حصلوا على عزة العبودية ولذة الذكر، ووصلوا إلى الاستغناء الروحي برصيد الإيمان، وعشقوا جمال المحبوب، وفاضت معنوياتهم وتلبسوا بكاملهم بالحقيقة، أولئك لن يروا طريقاً إلى الوقوع في الذنب والمعصية ولن يتلوثوا بالمعاصي. فقد وجدوا علو قدرهم وشرفهم وشخصيتهم وقدرتهم وعزتهم في الطاعة والعبودية [] ووصلوا إلى كامل هدفهم.

إنّ ارتكاب الذنب الذي يكون منشأه حب النفس والتعلق بالدنيا إنما هو تعبير عن الخواء الروحي، وهو نتيجة الغفلة والابتعاد عن []، والذين يرتكبون الذنوب لا يملكون في الحقيقة رصيذاً إيمانياً وقيماً إنسانية، ولم يذوقوا عزة العبودية واللذة المعنوية، وهم يتلافون نقائصهم الروحية وخواءهم المعنوي بالأمور الدنيوية واللذات الجسمانية والزينة الخارجية. وكلّ ذلك نتيجة الغفلة عن [] والإطاعة للشيطان الذي يلزم نسيان النفس ويصبح عامل فسق وفجور وسقوط.

ومن الملفت للنظر هنا أنّهُ ورد في رواياتنا أنّ الباعث على ارتكاب الذنب هو العوامل النفسية والخواء الروحي. يعتبر عليّ (ع) أنّ الغيبة هي سعي الضعفاء من الأفراد من أجل اكتساب قوة في الشخصية: "الغيبة جهد العاجز"، ويعتبر (ع) أنّ اتباع هوى النفس دليل فقدان الشخصية وعامل مذلتها "من اتبع هواه أردى نفسه"، وأنّ الطمع فقر ومسكنة "الطمع فقر حاضر"، وأنّ الحسد غضب على القدر "الحسد غضبان على القدر".

والحاصل أنّ العباد من أجل ذكر []، وذكر [] هو عامل طمأنينة النفس والغنى الروحي للإنسان، وكلما وصل الإنسان إلى هذه المرحلة من الكمال النفساني فإنه لن يميل أبداً إلى الرذائل. بهذا نلمس دور الذكر وضرورة دوامه في تهذيب النفس والصراع مع الرذائل النفسانية.

ولعل من الضروري أن نورد الكلام التالي: كما أنّ الإيمان با [] فطري عند الإنسان، كذلك الذكر، فإنه مقتضى الفطرة، ومن أجل حفظ هذه العلاقة القلبية بين العبد وربّه فقد أوصي بالعناصر التي هي مصاديق للذكر مثل الصلاة وسائر العبادات، وتلاوة القرآن، والتأمل والتفكير، والعبرة والتنبه والاحتراز من عوامل الغرور والغفلة وارتكاب الذنب والغرق في الدنيا والجلوس مع الغافلين واتباع الميول النفسية.